الأدب الشعبي وعلاقته بالمناسبـــات الاحتفـــالية

Folk literature and its relationship to festival occasions

أ. أحمـــــد حفيـــدي
المركز الجامعي لتامنغست
(***Hafidi_abbada@yahoo.fr***)

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على العلاقة التي تربط التراث الأدبي الشعبي الفولكلوري بالمناسبات الاحتفالية بالجنوب الجزائري، والسّمات المميزة لهذا المجتمع، ومدى تأثيره في الثقافات الأخرى، ومدى ما يتكشف عن ذلك من عادات الناس في الملبس، والزي، والقص، واللعب، والخرافات، وطرق دفن الموتى.

Abstract

This research aims to shed light on the relationship between folk popular literary heritage to festival events in the south of Algeria, and the features of this community, and the extent of its impact on other cultures, and the extent of what is revealed about the habits of people in clothing, uniforms, storytelling, play, myths, and ways to bury the dead.

Rèsumè

La littérature populaire et sa relation avec les occasions festives

Cette tentative de recherche vise à établir le lien entre le patrimoine littéraire populaire et folklorique et celles des occasions festives populaires dans le Sud Algérien. Il s'agit aussi de révéler les spécificités relatives à cette partie du pays et leur impact dans d'autres cultures. Cette étude vise, en outre, de montrer comment se partimoine culturel se manifeste-t-il sur les habitudes des gens notamment sur le vêtement, l'uniforme, la dance, le jeu, les mythes et les méthodes relatives à l'enterrement des morts.

لكلّ أمّة مقوّماتها ومقدّساتها، تحفظ بها كيانها، وتحقق بها استمرارها، بفضل العادات والتقاليد التي تعتبر دراستها وتدوينها من اهتمام الأدب الشعبي.

فإذا كان الأدب هو الفنّ الذي يعبر من خلاله الأديب أو الشاعر عن مكنوناته ومشاعره، وقضايا أمته وإنسانيته مما يخلد رسالته بلغة فصيحة، فإن الشعبي لفظة تميّزه عن غيره، وتجعل له خصوصيات ومقومات ناتجة عن شعبيته، تدلّ على ذلك الشعب الذي حافظ عليه، وكان العنصر الأساس في وجوده.

فما الأدب الشعبي؟ وما هي موضوعاته؟ وهل له علاقة بالمناسبات الاحتفالية عند الشعب الجزائري عامة؟ وعند الجزائري في المنطقة الصحراوية بصفة خاصة؟

فاستخدام كلمة "أدب" في وصفها هو اعتراف ضمني بالقيمة والدلالة، وهو مصطلح له نظير محدد في الآداب الغربية وهو ما يعرف ما يعرف بالفلكلور، وإن كانت المعاجم تتحدث عما يعرف باسم القصص الشعبي أو الغناء الشعبي[1] فيما يدخل تحت الباب المتسِع الذي يدل عليه مصطلح فولكلور، هذا المصطلح الذي إن قصد به التراث الشعبي فإن ترجمته في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب وجدنا مقابله "المأثورات الشعبية"، وهي الترجمة الحرفية لأصل المصطلح الإنجليزي في اللغة الإسكندنافية العتيقة هو "حكمة الشعب أو معارفه وتعاليمه" وتشمل الإبداع الشفاهي للشعوب البدائية والمتحضرة على السواء، ويتحقق بالكلمات المنظومة أو المنثورة، ويضم الخرافات والملاحم والسير الشعبية، والظواهر التمثيلية المباشرة وغير المباشرة، والرقصات والأغاني والأمثال والألغاز والحكايات الشعبية ... وتدخل فيها أيضا المعتقدات والعادات والتقاليد والمراسيم والممارسات الشعبية، ومن الدارسين من يضم إلى هذه العناصر الفنون والحرف اليدوية التقليدية، والمقومات التي لا بد من توافرها في المأثورات الشعبية[2].

ومن هنا ندرك أنّ التراث الشعبي يشمل كلّ الموروث على مدى الأجيال وممر العصور، لكل أفعال وعادات وتقاليد وسلوكيات وإبداع شفاهي للشعوب، وطرق التواصل بين الأفراد والجماعات والعلاقات التي تجمعهم في المناسبات المختلفة، بوسائل متعددة، والاحتفال بالمناسبات التي "يبدو من طرائقها عدد كبير من معتقدات الشعب الدينية والروحية والتاريخية، تتحول إلى رموز سيمولوجية، تعبر تعبيرا دالا عن الحدث، بوعي مضموني عميق، تبدو في مظاهر الاحتفال بالزواج مثلا".[3]

فلذا حصرت مداخلتي هذه في إبراز العلاقة القائمة بين الأدب الشعبي والمناسبات الاحتفالية، لأنها بمثابة المحفز والدافع إلى الإبداع في شتى المجالات، لأن مظهرية الأدب الشعبي تتجلى في تلك الشواهد للمأثورات الشعبية أغان المهد، وسير الأبطال والنوادر والحكايات الاجتماعية والتعليمية، ولعب خيال الظل، والأمثال العامية والفوازير وأغاني الزواج والعمل وتحنين الحجاج والبكائيات، ورسوم الجدران، والمنسوجات المرقمة والحلي التقليدية ... [4]

والأدب الشعبي بما أنه لا يعبر عن وجدان فردي، بل يجسد فكرة الجماعة في إقامة أعرافها وعاداتها وطقوسها الأنثروبولوجيةفلذا حصرت مداخلتي هذه في إبراز العلاقة القائمة بين الأدب الشعبي والمناسبات الاحتفالية، لأنها بمثابة المحفز والدافع إلى الإبداع في شتى المجالات، لأن مظهرية الأدب الشعبي تتجلى في تلك الشواهد للمأثورات الشعبية التي تدفعها إلى إقامة الاحتفالات "وقد تنبهت الأمم الحية إلى ما فيها من الفوائد، فجعلت الاحتفال بها جزءا من حياتها، ومادة من قوانينها الاجتماعية، وإن الأمة الإسلامية لأغنى الأمم من هذه البواعث التاريخية، وكلها من ذلك الطراز العالي.[5]

فالأمم الحية هي التي تهتم بالمناسبات الاحتفالية، وتتخذ منها انطلاقة مرجعية للحفاظ على الموروث الشعبي لها، بإحياء تلك المناسبات، وتكرارها لحفظها من الاندثار، بل هي في حدّ ذاتها في شكلها العصري تعدّ هذه المناسبات الاحتفالية " مجامع مفيدة من جهتها لجميع روادها ...

فهي أدوات تواصل وربط بين منْ لم تتهيأ لهم أسباب الاجتماع إلا في هذه الاحتفالات، وأسواق بضائعها الخطبُ والمرافعات القولية، وأرباحها الايجابية آداب الاجتماع، وتلاقح الأفكار، واقتباس الكلمات، واستيقاظ الهمم، واستعجال الآراء، وانتشال التفكير من المستوى العام الغث، وصقل الأذهان".[6]

فإذا كانت هذه غاية الاحتفالات والمناسبات من وجهة نظر الشيخ البشير الإبراهيمي، فإنها مع ذلك تشكل موروثا ثقافيا شعبيا، تتداوله الألسن، وتعيده الذاكرة كلما سنحت الفرصة لها لكي تعبر عن وجودها وعن كيانها ومدلولها المعتقدي والاجتماعي؛ لأن هذا الموروث "يعتمد على الرواية والحفظ في انتقاله من جيل إلى آخر، وهو لهذا متغير، لا ينال التغيير أصوله، ولكن من تتابع الشكل الفني والمحتوى المضموني[7]"، الذي يتغير مع متغيرات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فالأمثال الشعبية والسير الشعبية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأمة المنشئة لها، وهي عرضة للزيادة والنقصان؛ لأنها تعتمد على المشافهة في روايتها.

والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات التي امتازت بموروث ثقافي شعبي يرتبط بماضيها القديم ومعتقداتها الدينية، فعندنا -معشر المسلمين- ليلة "الميلاد النبوي" وعندنا الهجرة -رأس السنة الهجرية-، ويوم بدر، ويوم أحد، ويوم فتح مكة ... وغير ذلك من الأحداث التي وقعت في عهد النبوة، وهلم، وما يخصنا معشر الأفارقة؛ كبناء القيروان، واستواء طارق على الجبل وهلم، وما تقتضيه المناسبات في بعض الأوقات؛ كفتح خيبر، ودخول عمر لبيت المقدس[8].

وما عرفه المجتمع الجزائري من احتفال تحنين الحجاج، وأفراح الأعراس والمناسبات السعيدة؛ كالختان، وحفظ القرآن، والاحتفال بحلول فصل الخريف، ورأس السنة البربرية، ناهيك عن المناسبات الوطنية المرتبطة بالذاكرة الجزائرية؛ كليلة الفاتح من نوفمبر، ويوم عيد الاستقلال في الخامس من شهر جويلية، هذه المناسبات لها حضورها في الذاكرة الإسلامية العربية البربرية الوطنية للشعب الجزائري.

وسأعرج على ثلاث مناسبات لها الحضور البارز في ثقافتنا الشعبية، وهذا حصرا للموضوع، لا للتقليل من أهمية الاحتفالات الأخرى التي تعدّ ككل متكامل موروثا ثقافيا للأمة الجزائرية، وفي الجنوب الجزائري بخاصة.

1/ الاحتفال بالمولد النبوي:

يعد المولد النبوي بالنسبة للأمة الإسلامية عيد فخر واعتزاز، لأنه يعبر عن ميلاد من أخرج الناس من الظلمات إلى النور، والجزائر كغيرها من البلدان العربية الإسلامية كانت تحتفل بالمولد النبوي، ففي عهد " أبي حمو الزياني الثاني" كان يقيم بمشورة ليلة المولد النبوي احتفالا شيقا، تحضره الخاصة والعامة، فما شئت من زرابي مبثوثة، وبُسُطٍ موشاة، ونمارق بالذهب مغشاة، وشموع كالأسطوانات قائمة على مراكز الصفر الموهمة، ومباخر كالقباب؛ كأنها تبر مذاب ... يجلس الخليفة صدر المجلس، وأمامه خزانة المنقانة، وحفافية الملأ من قومه، ووجوه دولته، مرتبين على مراتبهم، وترى ولدانا بأقبية الخزّ الملون، يطوفون بمباخر العنبر ومرشات الورد، والمسمع على بعد مقدر من الخليفة، يردد نغمات الألحان، متنقلا من فنّ إلى فنّ، منشدا مدائح في النبي الكريم، مفتتحا بقصيدة من إنشاء الخليفة، ثم قصائد شعرية[9] ينشدها على مسامع العامة وحاشية الخليفة.

وآخر الليلة يؤتى بموائد كالهالات من خرس شهي، وأنواع من المطاعم تعقبها الفواكه والحلوى، فيطعم الناس بين يدي الخليفة، ويصلى معهم الصبح، وهكذا كانت تمر المواليد مدته، واقتفى أثره خلفه، وزاد ابنه أبو تاشفين إحياء ليلة السابع على هذا الوصف.[10]

وهذا الاحتفال بالمولد النبوي أحدثه بالمغرب العربي "أبو العباس أحمد العزفي" من بيت علم ورئاسة بسبتة(557-633)، وأمر السلطان يوسف المريني بإقامة هذا الموسم في جميع ممالكه سنة 671.[11]

وهكذا عرفت الحواضر الجزائرية شبه احتفال بالمولد النبوي، يقتصر فيه على التجمهر والتقصير(السمر)، وتلاوة قصة من القصص الحشوية

الشائعة[12]، ثم تطور مع الأعصر والأزمان إلى أنْ بلغ بالجنوب الجزائري أن ينفرد بمناسبة احتفالية تقام لأجله في المناطق الصحراوية، من تيديكلت إلى توات وبلاد قراية وبشار، دأبت شعوب هذه المناطق في مثل هذه المناسبة – مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي– على الانطلاق قبيل طلوع شهر ربيع الأول بمدة خمسة عشر يوما أو أقل، بحسب المنطقة بقراءة المدائح النبوية كهمزية البوصيري الشاعر، أو منظومة ابن مهيب، أو البغدادي بحسب عدد حروفها، وما يلازم ذلك من رفع للأصوات، ومصاحبة الثناء على الرسول، وزغاريد من هنا وهناك لنسوة يستمعن المديح، ويتلذذن بذكر النبي(ﷺ)، فإذا أوشكت ليلة المولد النبوي ففي مناطق يحتفلن بيوم قبله ويوم بعده، كما يفعل ذلك سكان مدينة أقبلي بنواحي أولف، يحتفلون بليلة قبل المولد "ببرزانة" يرق فيها الرجال، وتحف بهم النساء في شكل استحيائي، لأن المناطق الصحراوية (...وهذه الحالة في أقصى جنوب الصحراء ابتداء من عين صالح وما وراءها).[13] والذي يهمنا هو مضمون النصّ الشعبي الذي يرددونه قبل ويوم وبعد المولد النبوي، نسجل منه بعض ما جرى على الألسنة:

يا سعدنا بالنبي يا سعدنا .. يا سعدنا بالنبي يا سعدنا
اللهم صل عليك يا نابينا .. شفيع اماتو سيدنا محمد

ومن قولهم أيضا:

سـيد النبي ما عزو علينا يا رسـول
صلـوا على نابيـنا يا رسـول
فارحـين بمولدو جيـنا سيدنا الرسول

وقولهم أيضا:

اللهم صلي على النبي يا رسـول
يستهل النبي صلوا على رسول الله.

أما في يوم الاحتفال بابنة الرسول فاطمة –رضي الله عنها– لمكانتها عند رسول الله (ﷺ) وعند الأمة الإسلامية، والجزائرية فهم يرددون في النص الشعبي في شأنها ما يلي:

يا لالة يا بنت النبي عليك السلام

يا لالة يا بنت النبي عليك السلام

ويقال أيضا في كرمها:

لالة يا فاطمة علامن وصاك النبي، السائل لا تبخليه بنص تمرة سلكيه.

أما ما جاء من مديح للنبي (ﷺ) نجد الشاعر الشعبي ولد سيد الحاج قد نظم العديد من القصائد في شأن مدح النبي الكريم، مما يبين تعلقه الكبير بالرسول ﷺ فيقول:

أنا مــداح للرسول، والغير الاّ يكف عــين
يستهل فيه ما نقـــول يا سادتي به وني
مين متمين نغيب إلا لـــوطانـو لــحبيب
من صابو ليّ قريب نشاهد نورو بعينـي
نحب جوارحي تطيب رجليا ما يوصلوني

ويقول في مقام أخر:

طلبي ليك يا من بيديك كل الأكوان
عجـــــل ليا بعد العـــــسر يسرا
جيتك طائح بالشفيع نستـــــــدرا

وفي قصيدة أخري يقول:

نزور الحبيـــب ونـــــاسي *** ما صبت كيف نعمل
طامع منيش قاطع إياسي *** قبـــل الموت نوصـل

ومن خلال هذه النصوص الشعبية المعبرة عن التمازج الحاصل بين حبّ الرسول(ﷺ) وبين إحياء ليلة المولد يتأكد لنا جليا مدى تعلق هذه الأمة بالرسول(ﷺ).

وبالرغم من حضور الجنسين غالبا في جميع المواقف والمناسبات، إلا أن مبادئ الدين قائمة ومجسدة فيما (يفرضه من مبادئ الاحتشام والوقار، وعقاومته لكل أشكال الإثارة الجنسية في كثير من المناطق، وجعلها تختفي كلية في مناطق أخرى)[14].

2/ احتفالية الزواج:

تعد احتفالية الزواج من المناسبات الاجتماعية، لأن الزواج ظاهرة طبيعية تعرفها كل المجتمعات البشرية، وعند الأمة الإسلامية تأخذ بعدا دينيا ثقافيا، فهي تُقِيمها بكل ما أوتيت من قوة.

والمنطقة الصحراوية كغيرها من مناطق الجزائر نجد لها عاداتها وطقوسها الخاصة بها في إقامة هذه المناسبة، فأهلها يهتمون اهتماما بالغا بهذه المناسبة، ويعطونها كلّ ما تستحقه، فهي تتغير عندهم بتغير الطبوع، ومن ناحية إلى أخرى وحسب مستوى الأسر، وبتغير الحياة وتطورها.

وما يهمنا في هذا الصدد هو تلك النصوص الشعبية التي ترافق هذه المناسبة، بلغتها وألفاظها ومعانيها، فنجدها متداخلة من حيث التردد والانتشار، فما هو معروف ومتداول في تيديكلت وتوات نجده مترددا في منطقة الأهقار، والعكس قد يصدق في الغالب، بحكم التقارب والتجانس في العادات والتقاليد.

والنصوص في حدّ ذاتها تتناول المناسبة –مناسبة الزواج– (في مختلف مراحلها تقريبا، فهي تحدثنا عن اختيار العروسة، وعن الحناء ودفع المهر أو الصداق، والعاب الفروسية التي تقام أحيانا بهذه المناسبة، وبالترحيب بالعروسة عند اقترابه من منزل العريس، ثم ينتهون في الصباح بنص آخر يجددون فيه الترحيب بالعروسة، ثم يدعونها لاستقبال يومها الجديد وبحياتها الجديدة).[15]

وفي هذا المقام أقف وقفة عند هذه المراحل، والنصوص الشعبية بما يتلاءم مع البيئة الصحراوية.

أ / اختيار العروس: عند اختيار العروس غالبا ما كان الأهالي هم من يختارون لأبنائهم، ويرغبونهم في الزواج في سنّ مبكرة، وتارة يزوجونهم دون علم مسبق من بنات أعمامهم أو من الأقارب، وفضلوا ذلك صراحة، مشيرين إليه في أمثالهم، وأشعارهم ونصوصهم، ومن الأمثلة السائرة:

أدي بنت عمك هي اللي ترفد همك.

وأيضا: أدي بنت عمك هي اللي من دمك.

واختيار بنت العم له علاقة بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، لأن بنت العم -فضلا عن محافظتها على تماسك الأسرة، وإبعادها عن التفكك- كان لها دور في الحفاظ على مقومات الأسرة الواحدة.

ونظرا لكون بنت العم لا تكلف ابن عمها ما لا يطيق، فضلا عن كونها تتعايش معه في السراء والضراء؛ لأنها من مستواه المعيشي، وتعرف أسرته، ويعرف أسرتها، وقلما نجد عندنا في الصحراء قديما أسرة تعيش في أكثر من بيت واحد، يضم جميع أفرادها.

ب/ يوم دق لقماري عند أم العروس: تتخذ الأم في المناطق الصحراوية يوما قبل الزفاف، تستدعي فيه النسوة الأكبر في السن، لجلسة تدعى في صحرائنا بـ"دق لقماري" وهي جلسة حميمية يحضّرن فيها عطور العروس، وفي تلك الأمسية تدق الطبول، وتتغنى النسوة فيها بنصوص شعبية، تتمازج فيها رائحة العطور التي قد تبلغ أقصى بيت في الناحية، تتعالى الزغاريد فيها من حين لآخر، وكأنه إيذان بابتداء العرس، ومن جملة ما يرددن الصلاة على النبي:

صلى الله على النبي شفيع لعبادي**وأنا ضيفك يا الهاشمي محمـــادي

يا شفيع الخلق والنبي يا من زارو** يا ربي عاري على اللما ينساني

ومن جملة الآلات التي يتم النقر عليها (الطبل، والمزمار، والبقال، والقلال).

3 / دفع المهـــر:

أما أهالي الزوج فإن أمّ العريس تستدعي أقارب الزوج من النساء، في يوم أو يومين أو ثلاث قبل العرس، بحسب أعراف المنطقة، قصد أخذ المهر أو الصداق إلى أهل العروس، والذين ينتظرون بدورهم مجيئهم، ويكون وفق اتفاق مسبق، حيث يقوم أب العروس بدعوة أقاربه، وأم البنت أيضا، قصد استقبال الضيوف المقبلين عليه بالمهر، وإليه يسلم أولا، ثم يباركه ويدفع به لأمّ العروس، وفي هذا المقام نصور حالة

العروس النفسية، والتي تبدو متأثرة مضطربة حزينة، وهذا التأثر قد يكون حياءً، أو ناتج عن خوف، أو مفتعلا تارة، لتبين مدى حبها لأهلها، وهي حزينة منفطرة القلب لفراقهم (والنص الشعبي واقعي بطبعه، فصور هذه اللحظة كما تقع فعلا، دون أن يحاول تفسيرا لذلك).[16]

4 / يوم الزفاف:

غالبا ما تقام يوم الزفاف (وليمة الزفاف) عند أهل الزوج، على عكس وليمة العقد (القران) التي يقوم بها أهل الزوجة، فيدعو العريس أصدقاءه، وأعيان بلدته، والمقربين إليه، وبعد مأدبة العشاء تقام "التحنية"، وهي من أصل الحناء، أي وضع الحنة للعريسين، ووضع العمامة له، إيذانا بخروجه من الفتوة إلى الرجولة، حيث أصبح متحملا للمسؤولية، ويرتدي اللباس الأبيض، والبرنوس الأبيض أو الأسود، كما توضع له الحناء في قدميه ويديه، ويحمل السيف رمز البطولة والشجاعة، ويرافق كلّ ذلك نصا شعبيا:

بسم الله الرحمان الرحيم** صلى الله على سيـــــدنا محمد

بسم الله يا فتـــاح القلوب** عــلمــنا يا عـــــلام الغيوب

وبعد الفراغ من التحنية تقرأ للعريس بردة البوصيري، وهى بمثابة الحرز والحجاب المبارك للزواج، لما جاء في أبياتها من الحكم والمدح لخير خلق الله في خَلقه وخُلقه والتي مطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلم***مزجت دمعا جرى من مقلة بدم.

فهذه المظاهر الاحتفالية ضاربة بجذورها في أعماق المجتمع، تناقلها جيلا عن جيل، حفاظا على قوانينه الاجتماعية.

وهذه المناسبات تتيح -عن طريق الحضور- الاجتماع مع الآخرين على المآدب، وتقديم التهنئة للعريسين والهدايا والتعاون، ويجسد مبدأ التضامن بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع.

5 / ليلة المروح:

وهي نفس ليلة الزفاف، يوم تزف العروس لزوجها، وتروح من بيتها معززة مكرمة إلى بيت زوجها، أي بيتها، ولا تدخله إلا بعد إتمام عقد القران، وتكون هي السباقة في عرف أهل صحراء تيدكيلت، وأولف ومناطق توات، وكان مروحها قديما يتم سيراً على الأقدام، بالدف والأغاني والتصفيق، أما الآن فتحول ذلك إلى ما يسمى بـ"الكورتيج"، وأما نصوص الأغاني الشعبية المرافقة له فتمثل (شكلا متعدد الجوانب، من أشكال التعبير الإنساني، متأصل لدرجة يصعب معها تحديد أفضل الاتجاهات لتناولها)[17] ومما ترددده النسوة في يوم المروح قولهن:

راحت لو مباركة وعزبة *** وراحت لو بالمال والذرية

فرح على فرح، يا الله ايعمر هاد الدار، يا الله بالمال والأولاد يا الله.

فهي من حيث المضمون تمثل مدى أهمية ودور الزوجة بالنسبة لزوجها، فهي تزف عزبة، ومباركة، تجلب المال والبنين، وتزيد الزوج فرحة على فرحة، وتعمر البيت بمالها وأولادها، وهذا ما يبينه المثل:" الخير امْرَا والشَّرّ امْرَا".

6 / الصباح:

صباح يوم الزفاف تقوم "الوزيرة" بالدور الفعال في الربط بين أهل العروس وابنتهم، فهي التي تقوم بتحضير فطور الصباح وغيره للزوجين، في حين يقوم "الوزير" بواجبات الضيافة للزائرين للعريس، ولكن قبل خروج الزوجين يقدم الزوج لزوجته هدية تدعى بـ"الصباح" فيها من الذهب واللباس والعطور ما يُعلي قيمتها بعلو مكانة الزوجة عنده، وتزيد وتتضاعف هذه الهدية بقدر ما يضيفه أقارب العريس، وتعم الفرحة، وتعود العروس إلى بيتها عند أمها بعد إتمام الزيارة الصباحية، والزوج يقوم هو أيضا بزيارة أهله وأهل عروسه، وهناك تبقى العروس لتتم ما يسمى بـ"المشاط"، وهو عادة وضع الظفائر والمهدور، وفي تلك العملية تبدع الماشطة، وتدفع لها النقود، كما تبدع غيرها من النسوة نصوصا شعبية معبرة أساسها الصلاة على النبي، التي

هي حاضرة في جميع المناسبات، وبعدها تتزين العروس، وتلبس الجوالي مما يجعلها لوحة فنية، تحتمل عدة قراءات، ومن جملة النصوص قولهم:

صلوا على النبي كل صباح وكل ليلة
ثبتو لساني ما دامني حي في الدنيا
قابل إن شاء الله انشد الشباك بيديا
نوصل إلى مقامو وانزور قبر الأنبيا
بو فاطنة الزهراء رسول الله نبيا

والمقطع الأخير هو بمثابة الوقافية التي تقف فيها لنسوة للرقص، بأنغام وتصفيق وزغاريد.

الاحتفال بعيد الاستقلال:

نالت الجزائر استقلالها بجهود رجال مخلصين، بعد أن سالت الدماء، وخضبت ساحة المجد بدم مليون ونصف المليون شهيد، لكن إعجاب الناس بثورة الفاتح من نوفمبر، والتي كان حضورها قويا في النص الشعبي يحتفل بها منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، كما يحتفل الشعب الجزائري بكل مناطقه بعيد الاستقلال، المتزامن مع الخامس جويلية من كل سنة، هذا العيد الذي تجسده مناطق الصحراء باحتفالية مميزة، تلونها طبوع الفنّ الصحراوي من حضرة، وفرق القرقابو، وفرق البارود، والجاقمي، فإن كلّ الفرق تبدع نصوصا شعبية، والأكثر إبداعا هي فرق البارود، لأنها تغيير الأغنية بين الحين والآخر، وما سجلناه قول الشاعر مكاوي عبدالنبي بن أبا:

اللهم صل على النبي محمد يا سامع الدعا
عدد اللي قْرَا العلماء النجوم في السماء

كما نجد لشعراء المنطقة الصحراوية وقفات في إحياء الذكرى، كما هو الحال عند الحاج سعيدان التومي الذي يقول[18]:

مبروك عليا وعليك هذا الاتحـــاد يا هلال ونجمة ثاني
الناطق بالضاد جاك وقت الحصاد اتفقه وافهم لمعاني

أرحم يا رب أصحـــابنا في الجهـاد والخزي للعـــديايي
لبلاد يا خويا أمشات منها الحســاد العزة للـــــجعاني
شرف يا صاحبي تشوف أرض الاجداد كرم ونخوة وامعــاني
يرحم من رد أعيادنا كي الأعيـــاد بثلاثة من الألــواني
أهلال ونجمة رمزنا يـــا ستيـــاد عرابي ومسلم رباني

وفي قصيدة أخرى يقول[19]:

عام اثنين وستـــين عـــام لمحبة والإيمـــان
مبدأنا يا خاوتي أصريح احكامو حملة قرآن
أورثنا الأحكام من لقديم قهرنا جملة أشرار
على يد أبطال أمكهربين جمعية من الأخيار

ويقول أيضا [20]:

يا حصراه على أذناب الاستعمار*والجزائر حطمت أحزاب الخسرانِ
عصر المشوي راح يعطيكم لمرار** والوطاني نصرو الرب الفوقاني
نحنا جماعة او خيو من الأحـرار ** لا طماعة لا انبـيعوا الأوطان
نرضا والتعذيب بالمـاء والتيـار** مبدأنا هو اللي عليه التكـلاني

وخلاصة المقال في هذا المقام، بعد أن عرجت على ثلاثة مناسبات دينية واجتماعية ووطنية، لها من القيمة ما لها، أدركت بأن حضور النص الشعبي في كلّ المقامات والمجالات قائمٌ، والأغنية الشعبية في مضمونها ومغزاها تخاطب العاطفة أكثر من العقل، فهي حافظة لذاكرة الأجيال، وطرق التعبير، ولو أردنا تقسيمها لأدركنا بأنّ الأغنية الشعبية تختلف باختلاف الكلمات واللهجات، لكن المضمون متقارب في صحرائنا، بحكم التقارب الجغرافي والتبادل الثقافي، ففي هذه الأغنية ما يتعلق بالرجال، كما فيها ما يتعلق بالنساء، وما تناولته إلا قطرة من فيض، فأسأل المولى بعملي هذا أن أكون قد فتحت نافذة ليطل منها الجيل غدا على الموروث الشعبي الثقافي لبلادنا الجزائر، وللمنطقة الصحراوية خاصة.

الهوامش والمراجع المعتمـــــــدة

(1) د. حلمي بدير أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الأسكندرية 2003 م ط (1) ص 15.

(2) مجدي وهبة، كامل المهندس معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان بيروت 1984 ط (2) ص322.

(3) د. حلمي بدير أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث ص15.

(4) مجدي وهبة، كامل المهندس معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب عن د.عبدالحميد يونس ص 322.

(5) محمد البشير الإبراهيمي، كلمة في الاحتفالات وتصوير وصفي للاحتفال العظيم بختم القرآن العظيم مجالس التذكير م كلام الحكيم الخبير مطبوعات وزارة الشؤون الدينية 1982 ط(1) ص 447.

(6) المرجع نفسه ص 445.

(7) د. حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث ص19.

(8) محمد البشير الإبراهيمي كلمة في الاحتفالات وتصوير وصفي للاحتفال العظيم بختم القرآن العظيم مجالس التذكير م كلام الحكيم الخبير ص447.

(9) مبارك محمد الميلي "تاريخ الجزائر القديم والحديث" تقديم وتصحيح محمد الميلي الجزء الثاني مكتبة النهضة الجزائرية 2004 ط (4) ص 487.

(10) المرجع نفسه ص 487.

(11) المرجع السابق ص 488.

(12) محمد البشير الإبراهيمي، كلمة في الاحتفالات وتصوير وصفي للاحتفال العظيم بختم القرآن العظيم، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص452.

(13) إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ب ط ص 207.

(14) المرجع نفسه ص 206.

(15) العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس الجزء الأول المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989 ب ط ص 67.

(16) المرجع السابق ص69.

(17) نمر حسن حجاب، التراث الشعبي علم وحياة الثقافة والتراث القومي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1992 في الحصة الشاملة للثقافة العربية ص 174.

(18) تومي الحاج سعيدان، ديوان مغذي الأرواح ومسلي الأشباح، مطبعة عمار قرفي باتنة بط ص 87.

(19) المصدر السابق ص 89.

(20) المصدر السابق ص 97.